
العصابة الخمينية
والإسلام المفترى عليه
الدكتور
سعدون حمادي
منشورات
الطليعة
1987

العصابــة الخُمينيّـــة والإسلام المُفترى عليه

الدكتور سعدون حمادي
بغداد - العراق 1983

ان قضيـة الحـديث عن الاسـلام ماذا يقـول ومـاذا لايقول ومن هو المسلم ومن هو الكـافر حديث قديم ولكن حالـة ايران اليوم حالـة خاصة في هذا الباب. . فهناك حديث طويل وصوت مرتفع عن هذا الموضوع لنا فيه بعض الملاحظات.

الاسلام دين هوخاتم الاديان السماوية وقول الحقيقة فيه من القيم العليـا ويحتـل الصـدق اعلى المـراتب في سلّم الفضائل. والمسلم الصادق لايكذب وهومن سلم الناس من يده ولسانه. ان توخي الحقيقـة وتجنب الكــذب والافـتراء من الامـور التي اعـارهـا الاسلام أهمية كبيرة. فهل يكون المسلم مسلماً اذا كان يكذب على أوسع نطاق؟ انني اريد جلب الانتباه ليس لايران بل للفئـة الحـاكمة فيه الآن. ان الذي يتتبع ويفحص مايصدر عن هذا النظام من اقوال لايصعب عليه اطلاقاً ان يرى بوضوح ان الفئة الحاكمة لا تتورع عن الكذب في اي موضوع تعالجه. وظـاهـرة الكـذب في النظـام الأيـراني الحالي تجلب الانتباه حقاً ونظراً لانها صادرة عن رجل دين وعن نظام يدعي بصوت عال الاسلام فالذي يفحص اقوال هذا النظام يهوله الأمر ويستغرب لهذه الجرأة والاستمرارية والنطاق الواسع لممارسة الكذب في كل شيء حتى ليخيــل للانســان ان الكـذب بنظـر هذه الفئـة من النـاس ليس ممنـوعـا ولا هوممارسة مذمومة كما نتصورها نحن او يتصورها أي انسان على درجة معقولة من النزاهة والأمانة. ان موضـوع ممارسـة الكـذب على يد النظام الايراني الحالي ظاهرة تستحق الاهتمام بالدراسة كظاهرة اجتماعية وفكرية اذ لابد من وجود علة تجعل هؤلاء الناس يقبلون على ممارسة الكذب بهذا الشكـل من الجـرأة والـدم البـارد وسعـة النطاق. فهل الكذب صفة لا تتناقض مع مبادىء الدين الاسلامي وكيف حصل ان استطــاع ممارسو هذه الظـاهـرة التـوفيق بين الادعـاءات الـدينيـة وبين واقع التصرف؟ ولكن لابد من ضرب الأمثلة على ظاهرة الكـذب هذه. في اعطـاء المعلومـات عن اخبـار الحـرب هنـاك كذب واسـع النطاق لدرجة لم يعد من الصعب معرفته فالسامع الاعتيـادي لا يخفى عليـه تعمد الكذب والمبالغة وتزوير الحقيقة في المعلومــات العسكــريــة التي تذاع في ايـران عن الحـرب. ويستطيـع الانســان بسهـولـة ان يكتشف ذلـك وما عليه الا ان يجمـع ارقــام خســائــر العــراق كما ترد في الاعـلام الايـراني بالاشخـاص وبـالمعدات. . . وبالطائرات ليتضح له بجلاء ان تلك الارقـام عن الجنـود والاسلحـة والطـائـرات لا تملكهـا الا الـدول الكـبرى ولـو جمع الانسـان المسافـات التي تقدمت بها القـوات الايـرنيـة في الجبهـات وقـارنهـا بمسـاحـة الارض المحتلة لاتضـح له الكــذب الصـارخ فيهـا. ويصح نفس الشيء عن الارقــام التي يذكـرهــا النظـام عن خسـائـره في الاشخـاص والاسلحـة والطـائـرات اذ يتضـح للقـارىء الكذب الفادح في تقليلهـا. . . لقـد بلغ الاستعداد للكذب درجة عالية جداً لحد تكاد لا تصدق في تسمية ما يحتل وما لايحتل، وفي الحديث عن المعنـويـات وتصـويـر الـوضع الدولي وفي التعامل مع المعارضة الـداخلية فهو الآخر خاضع لنفس الطريقة في الكذب والتزوير ومجافاة الحقيقة والمبالغة زيادة او نقصاناً.

في الحيـاة الـدولية الحالية هناك بعض المعايير للتصرف السليم. فمثلاً هنـاك قاعـدة غير مكتـوبـة هي ان الـدولة التي تحترم نفسها لايمكن ان تكذب بصورة كاملة في ماتصرح به للعالم كأن تجعل الابيض اسوداً او بالعكس. . هناك شيء من المبالغة قد يغض النظر عنه كما ان الامتناع عن ذكر جزء من الحقيقة هو الآخر قد يعتـبر من العـادات التي يمكن غض النظـر عنهـا امـا الكـذب الكــامــل بقـول شيء لم يحدث اونفي شيء حدث اوتحويـل الواحد الى ألف او تحويل الالف الى واحد على غرار ما يمارسه

النظام الايراني بهذه السعة وسبق الاصرار فهو أمر غير مألوف ويستدعي الدراسة كظاهرة. والواضح ان عملية الكذب هذه لا تقتصر على الصف الثاني في النظام الايراني بل تبدأ بصورة رئيسية برأس النظام فقد قال الخميني مرة اثناء قمة الاضطراب الداخلي والمقاومة المسلحة من قبل المعارضة ان ايران اكثر دول العالم استقراراً وقال مرة عندما سأل عن ضرب خزانات النفط الكويتية بواسطة الطير ان الايراني قال ان ذلك كذب وقال في رسالته للملك خالد بن عبدالعزيز بمناسبة احداث موسم الحج (ما معناه) بأن سبب الشغب لم يكن ماقام به الحجاج الايرانيون بل تدخل السلطات السعودية. وتنسحب هذه الصفة الى ادنى درجات هرم السلطة في ايران. السؤال المهم كيف ينسجم ذلك مع ادعاءات النظام بالاسلام؟ انه قطعاً غير منسجم فماهو تفسير ذلك؟.

ان التفسير العلمي لهذه الظاهرة غير موجود أولا ولا اعرفه انا الا ان هناك بعض الملاحظات التي بالامكان ايرادها كمساهمة في التفسير. يلاحظ ان المجتمع المتخلف يحاول في بعض الاحيان تطوير نوع من التوافق بين امور متناقضة تكون متناقضة في نظره في البداية الا انه بمرور وقت على التلاؤم الذي يقوم به تصبح ممارستها جنباً الى جنب معتادة ومقبولة ويفقد التناقض اثره تدريجياً على الضمير فنراه يقبل عليه ويتقبله من دون تململ اورفض كما كان عليه الحال في السابق. فالمجتمع الريفي المتخلف مثلاً نجده يمارس طقوس الدين من جهة الا انه لا يستنكر السرقة الليلية من جهة اخرى ونرى الشخص المتدين في بعض الاحيان لا يتورع عن اعمال ينهى عنها الدين كالقتل على سبيل المثال. ان عملية التلاؤم بين المتناقضات قد تتم في ظروف التخلف وتصبح بمرور الوقت سهلة الممارسة بمعنى ان من يمارسها يقبل عليها بسهولة وبنوع من سبق الاصرار وعدم التهيب.

الملاحظة الثانية: هي ان الفئة الحاكمة في ايران فئة طالما طمحت لاستلام السلطة وقد كانت دوماً على خصام مع النظام القديم لاسباب لا تعود كلها لفساد ذلك النظام بل ان لعنصر الرغبة في الحكم دوراً معيناً. ان هذه الفئة التي طالما شعرت بقوتها المعنوية وقوتها المالية كانت تطمح لأن يكون لها قوة سياسية أيضاً. وقد كانت هذه هي الفرصة الاولى التي يتاح لها صاحب سقوط نظام الشاه. اذن ـ فوصول الخميني للحكم هو مسألة يجب الا نقلل من اثرها عليه وعلى اتباعه من حيث تلبية تلك الرغبة القديمة في الحكم والتمسك به.

بعد استلام الحكم بدأت التعقيدات والمشاكل تجابه النظام فكان هناك المشاكل الداخلية كالانقسامات وتحرك الاقليات القومية من أجل حقوقها وكانت هناك الحرب مع العراق..... كل ذلك قد وضع النظام الجديد امام امتحان صعب وخطير، فكان عليه ان يختار بين الصدق الذي يضر والكذب الذي ينفع (بالمقياس العملي اليومي لذلك) وقد كان خياره هوتفضيل الكذب الذي ينفع على الصدق الذي يضر.

فالفئة المتعطشة للسلطة طويلا والتي وصلت إليها بعد طول انتظار والتي إستلتها بلهفة وفي جو مشحون بالعاطفة لم تصمد للاختبار فلما قارنت بين قول الصدق والتعلق بالحقيقة المرة وبين قول الكذب الذي يريح ويدعم النظام (على حد تصوره) اختار الكذب.

الملاحظة الثالثة: مرتبطة بالملاحظة الثانية الا انها تحتاج لمعالجة منفصلة. النظام الايراني يعير أهمية كبيرة للدعاية السياسية فقد جعل خميني قضية الدعاية واحداً من ثلاثة أمور اساسية يعاني منها النظام في خطابه بمناسبة الذكرى الثالثة لقيام النظام.

لقد مارس النظام هذا النوع من الدعاية في عملية اسقاط نظام الشاه ونجح فيها لذلك فالميل الطبيعي هوان يستمر باستخدامها بعد وصوله للسلطة.. ان المبدأ الذي تقوم عليه هذه الدعاية هو الكذب الواسع النطاق والاختلاق وتشويه الحقيقة وربما كان بذلك متأثراً بنوع الدعاية التي كان الحكم النازي يستعملها. ومفلسفو هذا النوع من الدعاية التي تقوم على الكذب يعتقدون برمي اكبر كمية من الطين فبعضها لابد ان يعلق بالجدار.. انهم يقولون ان الانسان عندما يرى دخاناً كثيراً لابد أن يعتقد بوجود نار (القول المعروف لادخان بدون نار) وغيرها من التحليلات والحجج التي يوردها اصحاب هذا المبدأ في الدعاية.

ونعود لقضية ادعاء الاسلام واستخدام الكذب على اوسع نطاق فنقول ان ممارسة النظام الايراني لذلك لايبدومتردداً الأمر الذي ان دل على شيء فانما يدل على تخدير الضمير وصدأ النفس حيث لم يعد يرى التناقض الفاضح بين مبادىء الاسلام وبين الكذب في كل شيء تقريباً.

وهناك جانب من الموضوع لايقل أهمية عن ذلك لابل هو متعلق به ويصدر عن نفس المصدر الا وهو اطلاق العنان للغرائز من أن تؤخذ كل مداها باسم الثورة. فالانسان كما هو معروف فيه غرائز بدائية وفيه جانب متقدم هو العقل والضمير. . . .

والغرائز التى تقوم بوظائف مهمة لاستمرار الحياة لابد من حفظها ضمن نطاق محدد عن طريق سيطرة العقل والضمير لذلك كان في الانسان الرغبات الغريزية وكان فيه الضمير الذي يحفظ الغرائز في حدود مهمتها في اشباع الحاجات الجسمية واستمرار الحياة. والدين الاسلامي قد اكد على السيطرة على الغرائز بصورة واضحة لذلك كان على المسلم ان يكبح جماح غرائزه ويمنعها من الانطلاق بدون قيود. وقد اعتبر الاسلام حياة الانسان والمحافظة عليها من القيم العليا فجعل القتل اكبر الجرائم وامر بالعدل واحترام قيمة الانسان وحقوقه.

في ايران اليوم يقوم النظام بعملية اطلاق لغرائز الانسان قد اصبحت معروفة على نطاق عالمي فالقتل الواسع النطاق المصحوب بالقسوة تمارسه فئات مجندة لهذا الغرض يتم اليوم بأسم الثورة والعنف الثورى. والقتل الواسع النطاق هذا يتم بطريقة مكشوفة وبعيدة عن ابسط مبادىء العدالة فهويتم في الشوارع احيانا وامام مرأى من الجمهور ويتم بطريقة مصحوبة بكثير من القسوة. كما انه اتسع لحد اصبح يحتمل الكثير من الخطأ والظلم واثر العوامل الشخصية والدوافع الذاتية النابعة من علاقات الناس ببعضهم.

ان مثل هذا الوضع البدائي الذى تحكمه الغرائز الحيوانية الذي كان مصحوبا بالارهاب والظلم ادى الى عدم التقيد بالقوانين المعروفة والشرائع المتبعة والاعراف التي يحترمها البشر. فقتل النساء والاطفال واعدام اسرى الحرب عن سبق تصميم واصرار والتمثيل بالموتى والاعتداء على القبور أصبح من ممارسات هذا النظام وماهو معروف عنه في نفس الوقت الذي تزداد ادعاءاته بالاسلام وبالمبادى الاسلامية السامية. ان القدرة على جمع الصيف والشتاء تحت سقف واحد من الامور التي تجلب الانتباه. لقد جعل الاسلام القتل اولى الكبائر واكد على الرحمة والشفقة واحترام الميت وكبح غرائز الانسان في حين ان مايقوم به النظام الايراني الان هو عكس ذلك تماما.

وهنا ايضا لابد من التفتيش عن الاسباب لهذا التناقض الواضح.

السبب الرئيس بنظري هو النزعة العملية للبقاء في الحكم اما الادعاء المثالى فقد تم التخلى عنه بمجرد ان واجه الحكم

اما الادعاء المثالى فقد تم التخلى عنه بمجرد ان واجه الحكم
الجديد يد أول تهديد من المعارضة في الداخل. فعندما يكون المناداة بالاسلام والحديث عن مبادئه مجرد مادة اعلامية لاتكلف شيئاً نلاحظ ان النظام يكثر من ذلك ولكنه سرعان مايضع كل ذلك جانبا في التصرف العملي عندما يحتاج لاساليب ومواقف اخرى تتناقض مع تلك المبادىء.

في هذه الناحية هناك مسألة تختلف عن الحالة الاولى التي تعرضنا لها والمتعلقة بالكذب. في مسالة الارهاب الدموي النظام الايراني لايكتفي بأن يضع مباديء الاسلام جانباً بل انه يرتكب ماهو اكبر من ذلك وهو محاولة تزييف مبادىء الاسلام وذلك بالادعاء بأن ذلك هومن صميم الاسلام. لذلك نراه يسمي اليوم الذي يتم فيه اعدام اعداد كبيرة من المعارضة بانه يوم الله ونراه لايفتأ يردد الحديث عن اراده الله ومبادىء الاسلام في معرض ممارسته لتلك الاعمال حتى انه لم يتورع وفي مرات عديدة ان يعقد مقارنة بين اعماله وظهور الاسلام. . . ان مثل هذا الادعاء يعني ارتكاب خطيئتين الاولى هو الابتعاد عن مبادىء الاسلام والثانية هي اعطاء تلك المبادىء معانيا ومضامينا اخرى لاتنسجم معها وتلك هي عملية تزييف واضحة.

ان امعان النظر في ظاهرة الارهاب الدموي والطرق الملتوية في ممارسته والقسوة التي تصاحبه يظهر الملامح الفارسية القديمة التي هي ليست من الاسلام بشيء. في هذه الظاهرة ملامح الحركات السرية التي نشأت في العصر العباسي من قبل الفرس اوبدفع منهم والتي ادخلت على الاسلام افكاراً واعمالاً غريبة عنه تماماً. ان تلك الحركات المندسة على الاسلام والتي كان هدفها النهائي تهديم الدولة وتشويه الاسلام بنشاط يتم من داخله بينها وبين ممارسات النظام الايراني شبه كبير. صحيح ان التاريخ لايمكن أن يعيد نفسه بتكرار الحوادث كما حصلت في الماضي فذلك أمر فيه استحالة طبيعية الا أن الدوافع والاهداف متشابهة فالدافع هو الوصول للسلطة والمحافظة عليها والدافع الذي بدأ يتحرك من جديد هوتسخير الاسلام لتلك الاغراض وتفسيره حسب مقتضيات ذلك لا كما هو على حقيقته. . . بهذا المعنى هناك تكرار لأمر حصل ايام الدولة العباسية لا من حيث الشكل والحوادث والتفاصيل بل من حيث الجوهر.

الأمر الثالث المهم في بحث هذا التناقض مع الاسلام هو العداء الصميمي للأمة العربية. فالعرب هم الأمة التي حملت الاسلام للعالم وامتزج تاريخه بتاريخها وتضم في بلادها الجزء الاعظم من تراث الاسلام والقرآن قد أتى بلغتها فكيف يمكن الجمع بين ادعاء الحرص على الاسلام وبين معاداة الأمة

الحركات السرية التي نشأت في العصر العباسي من قبل الفرس او بدفع منهم والتي ادخلت على الاسلام افكاراً واعمالاً غريبة عنه تماماً. ان تلك الحركات المندسة على الاسلام والتي كان هدفها النهائي تهديم الدولة وتشويه الاسلام بنشاط يتم من داخله بينها وبين ممارسات النظام الايراني شبه كبير. صحيح ان التاريخ لايمكن أن يعيد نفسه بتكرار الحوادث كما حصلت في الماضي فذلك أمر فيه استحالة طبيعية الا أن الدوافع والاهداف متشابهة فالدافع هو الوصول للسلطة والمحافظة عليها والدافع الذي بدأ يتحرك من جديد هو تسخير الاسلام لتلك الاغراض وتفسيره حسب مقتضيات ذلك لا كما هو على حقيقته... بهذا المعنى هناك تكرار لأمر حصل ايام الدولة العباسية لا من حيث الشكل والحوادث والتفاصيل بل من حيث الجوهر.

الأمر الثالث المهم في بحث هذا التناقض مع الاسلام هو العداء الصميمي للأمة العربية. فالعرب هم الأمة التي حملت الاسلام للعالم وامتزج تاريخه بتاريخها وتضم في بلادها الجزء الاعظم من تراث الاسلام والقرآن قد أتى بلغتها فكيف يمكن الجمع بين ادعاء الحرص على الاسلام وبين معاداة الأمة العربية؟ ألم تكن الأمة العربية في كل عهودها حامية للاسلام مدافعة عنه وعن القيم الروحية وعن الحق والعدالة في العالم؟ أليست الأمة العربية التي خاضت صراعاً طويلاً ضد الصليبين حماية لبلادها ودينها تخوض اليوم صراعا داميا ضد الصهيونية دفاعاً عن أرضها ودينها؟ ثم ألم تقف الأمة العربية والدين الاسلامي مع كل قضية عادلة في العالم؟ كيف يمكن ان يكون الانسان متديناً مسلماً بحق وهو يناصب الأمة العربية العداء - ويطعنها في الظهر في الوقت الذي تخوض هذا الصراع ضد الصهيونية وكيانها في فلسطين؟.

هناك بالطبع كلام كثير يقال في ايران اليوم عن الاسلام وعن نصرة الاسلام ولكن ماقيمة كل ذلك اذا كانت ايران مصرة على مطامعها في ارض بلاد عربية مسلمة ومصرة على تطبيق نفس السياسة العنصرية الفارسية القديمة في علاقتها مع العرب تلك السياسة القائمة على التوسع والعدوان واعتبار البلاد العربية المجاورة منطقة نفوذ؟ ان النظام الجديد في ايران يقول صراحة بأنه يهدف الى اسقاط الأنظمة الموجودة في البلاد العربية واحلال انظمة يسميها اسلامية ويقصد بالطبع أن تكون موالية له الأمر الذي يؤدي في النهاية الى ضمها الى ايران. ان هذه السياسة التوسعية الواضحة تستهدف بلادا إسلامية وتستهدف شعبا اسلاميا هم العرب فكيف يمكن التوفيق بين ذلك والادعاء بنصرة الاسلام؟ من هو الذي يقرر اسلامية نظام ايران وعدم اسلامية انظمة البلاد العربية المراد اسقاطها واحلال انظمة اسلامية مكانها على حد تعبيره؟ الذي يقرر ذلك بمنطق النظام الايراني هو ارادته، هو وليس مدى التعلق بمبادىء الاسلام الجوهرية.

ثم هناك انظمة عربية اخرى يصادقها النظام ولايدعو الآن الى اسقاطها وهي لاتختلف بشيء من ناحية الدين عن الانظمة التي ينادي باسقاطها فلماذا؟ السبب واضح طبعا هو ان تلك الانظمة صديقة أو حليفة له.....

اذن فالمقياس سياسي وليس ديني والأمر برمته يتعلق باللعبة السياسية وليس بمبادىء الدين الحنيف. وهل هناك أوضح من هذا التسخير الشائن لمبادىء الدين وسمعة الاسلام لاغراض اللعبة السياسية والاغراض السياسية؟ ان الامر واضح باعتقادي.

ان قصة استغلال الدين من اجل غرض سياسي قديمة فطالما لجأ الحكام في فترات عديدة من التاريخ خاصة في عهود التخلف الى الادعاء بانهم يمثلون ارادة الله على الارض وانهم انما أتوا لنصرة الاسلام ونشر مبادئه.. وكانت بين جميع تلك المحاولات عامل مشترك واحد هو الاهتمام بالشكل والطقوس اكثر من الجوهر. ان الاسلام كدين سماوي له جوهر معروف هو المبادىء السامية العليا المعروفة والمسلم الصحيح هو الذي يتمسك بالجوهر وبالشكل معاً وليس بالشكل فقط... ان ممارسة الكذب على النحو الذي اوضحناه وممارسة الارهاب الدموي واطلاق الغرائز البدائية ومعاداة الأمة العربية والطمع باحتلال بلادها أمور (من بين امور اخرى كثيرة) تتناقض مع جوهر الاسلام.

ومهما يكن فان هذا الدين الذي عرف حالات عديدة من الحملات المعادية ومحاولات التخريب من الداخل اقوى دعائما من كل ذلك ولا يضره هذا الافتراء الذي نشهده في ايران اليوم... والنتيجة ستكون حتما بزوال الافتراء وبقاء الحقيقة. انها ليست المرة الاولى التي يفترى فيها على الاسلام.

تفكير الخميني : القول والعمل

قرأت كتاب الخميني حول ولاية الفقيه أو الحكومة الاسلامية (١) الـذي هو مجموعة محاضراته على طلبة العلوم الدينية في النجف حوالى ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ ، وخلاصة هذا الكتاب هو الدعوة الى ان يتولى الحكم في البلاد الاسلامية الفقهاء اي رجال الدين. فذلك هو اساس الحكومة الاسلامية فالفقهاء لا تنحصر مهمتهم في شؤ ون الدين بل تشمل ايضا شؤ ون الدنيا فالفقيه يحكم في شؤ ون الناس ويصرف شؤ ون الدولة من جميع الوجوه. انني لا اريد ان ادخل في موضوع مدى علمية هذه الآراء بكل ما تعنيه الطريقة العلمية في الكتابة فذلك امر لا أقصده في هذا المجال ويكفي للتدليل على مدى الالتزام بالطريقة العلمية هو ان العبارة الاولى التي وردت في المقدمة هي الآتي: ولاية الفقيه فكرة علمية واضحة قد لا تحتاج الى برهان، بمعنى ان من عرف الاسلام، احكاما وعقائد، يرى بداهتها ولكن وضع المجتمع الاسلامي، ووضع مجامعنا العلمية على وجه الخصوص يضع هذا الموضوع بعيدا عن الاذهان حتى لقد عاد اليوم بحاجة الى برهان». ان موضوعا معقدا كهذا عن الدولة ونظام الحكم كيف ينظم الحكم ومن هو الذي يحكم يحل بمثل هذه البساطة والحل البسيط هذا حقيقة علمية وبديهية على حد قوله اقول ذلك ليس هو الهدف بل التعرف على الافكار الاساسية التي تضمنها هذا الكتاب الذي يلخص آراء الخميني في الشؤ ون السياسية للحكم والدولة والعلاقات الدولية.

يلاحظ اولا ان الخميني يتحدث في هذا الكتاب عن ضرورة الوحدة الاسلامية والوحدة الاسلامية بنظره ليست امرا مقصورا على التعاون بين دول اسلامية مستقلة ولا التضامن بوجه الاخطار كما انه ليس ذلك المفهوم المنبثق عن الروابط الروحية الاخوية التي تربط المسلمين بل هو تعريف يتعلق بالتنظيم السياسي نفسه. وفحوى ذلك التنظيم هو قيام دولة اسلامية واحدة تتنازل فيها الدول الاسلامية عن قومياتها واستقلالها. ويلاحظ ان الخميني يرى بالدولة العثمانية مثالا على تلك الوحدة التي يدعو اليها ولا يتورع عن ذكر ذلك بالاسم فهو يقول بالنص (ص ٣٤) «ومن جهة اخرى فقد جزأ الاستعمار وطننا وحول المسلمين الى شعوب وعند ظهور الدولة العثمانية كدولة موحدة سعى المستعمرون الى تفتيتها. لقد تحالف الروس والانكليز وحلفاؤهم وحاربوا العثمانيين ثم تقاسموا الغنائم كما تعلمون» يستفاد من هذا النص ان الذي جزأ الوطن الاسلامي الى تركيا وايران والوطن العربي هو الاستعمار وان الذي كوّن الشعوب من فرس وعرب واتراك هو الاستعمار اي ان اختلاف القوميات والاوطان هو من صنع الاستعمار. وبعبارة اخرى ان القومية ذاتها هي من صنع الاستعمار. لذلك فلاغرابة ان قال الخميني بعد اكثر من عشر سنين عندما وصل الى السلطة ان القومية العربية هي من صنع الصهيونية الأمر الذي اوضحناه في مقال سابق. ويلاحظ ان الخميني يردد نفس أقوال المستعمر العثماني الذي استعمر الوطن العربي لاكثر من اربعة قرون اغرقه خلالها في بحر من الجهل والتخلف بأن الثورة العربية قد جاءت ضد الاسلام الذي كانت الدولة العثمانية تمثله.

ثم يستطرد الخميني في (ص٣٥) فيقول بالنص «ونحن لا نملك الوسيلة الى توحيد الامة الاسلامية وتحرير اراضيها من يد المستعمرين واسقاط الحكومات العميلة لهم الا ان نسعي الى اقامة حكومتنا الاسلامية وهذه بدورها سوف تتكلل اعمالها بالنجاح يوم تتمكن من تحطيم رؤ وس الخيانة وتدمر الاوثان والاصنام البشرية والطواغيت التي تنشر الظلم والفساد في الارض». اذن فالدول العربية وتركيا وجميع الدول الاسلامية الاخرى دول غير مستقلة فهي بين ما هو تحت سيطرة الاستعمار وبين ما تحكمه حكومات عميلة ولذلك يجب اسقاط جميع هذه الانظمة وضم جميع هذه الدول في دولة واحدة تحكمها الحكومة الاسلامية. ويقول ايضا بنفس الصفحة«. تشكيل الحكومة اذن يرمي الى الاحتفاظ بوحدة المسلمين بعد تحقيقها» وواضح من النصوص ومن جميع ماورد في الكتاب ان تحقيق الوحدة الاسلامية وتشكيل الحكومة الاسلامية لا يتم الا عن طريق القوة وباسلوب العنف الامر الذي ينسجم تماما مع شعار تصدير الثورة الذي رفع بعد استلام السلطة والذي تجسد باعمال العنف وشن الحرب والمؤ امرات على البلدان العربية المجاورة وخاصة العراق وعلى البلدان الاسلامية الاخرى.

بعد حوالي عشر سنوات وصل الخميني الى السلطة وقامت الجمهورية الاسلامية في ايران فما هو الاستنتاج المنطقي الذي يمكن ان يستنتج عن علاقة الدولة الجديدة بالدول الاسلامية الاخرى؟ من الواضح ان ايران تعتبر نقطة البداية وقاعدة الانطلاق نحو تحقيق الوحدة الاسلامية والحكومة الاسلامية فحكومة الخميني الآن مقتصرة على ايران لذا فمن الطبيعي ان يكون واجب الدولة الجديدة العمل الحثيث لتوسيع رقعة هذه الدولة القاعدة وذلك بالامتداد الى الدول الاسلامية الاخرى وهو ماعبر عنه شعار تصدير الثورة وما دللت عليه جميع تحركات النظام الجديد أزاء العالم الاسلامي وعلى وجه الخصوص ازاء جيرانه العرب. اذا كان واجب الفقيه وهو فرد هو تحطيم نظام الحكم في اي دولة اسلامية يستطيع بها ذلك وتكوين الحكومة الاسلامية كما يتضح ذلك في جميع مراحل الكتاب فمن المنطقي ان يكون واجب الدولة الاسلامية الجديدة ان تضطلع بمهمة العمل لامتداد الثورة الى البلدان الاسلامية الاخرى وهو بالضبط ما يسعى له النظام الجديد في ايران.

اذن فالتصرف الايراني الحالي أزاء العراق والبلدان العربية والبلدان الاسلامية الاخرى لم يكن كله نتيجة لعوامل آنية موقتة ولا مبعثه عامل الغرور وجو الهياج العصبي وعدم الخبرة كما يحاول البعض ان يفسره بل سببه هذه الخلفية الفكرية التي نادي بها الخميني قبل اكثر من عشر سنوات وما تصرفاته الحالية الا تنفيذ لتلك الافكار.

ويلاحظ ان التفكير الذي يخترق جميع حلقات هذا الكتاب هو قضية الحكم، فالحكم يجب ان يكون للفقيه والشروط التي يجب توفرها في هذا الحاكم هي العلم بالقانون والعدالة وليس أي شيء آخر. والفقيه يستمد سلطته ليس من أي جهة دنيوية كالشعب بل من الله في (ص٤٩) بالنص «واذا نهض بأمر تشكيل الحكومة فقيه عالم عادل فانه يلي من امور المجتمع ما كان يليه النبي (ص) منهم ووجب على الناس ان يسمعوا له ويطيعوا وتقترب هذه الفكرة كثيرا من شعار المستبد العادل». والذي يقرأ هذا الكتاب الآن ويرى ماذا حدث في ايران وكيف وصل هذا الشخص الى الحكم والمركز الذي احتله بالنسبة لسلطات الدولة وتصرفه في شؤ ون البلاد اليومية لا يمكنه الا ان. . يستنتج ان المقصود بذلك الفقيه هو شخص الخميني الذي يجب ان تكون ارادته فوق كل ارادة وسلطاته فوق سلطة الشعب مهما كان نوعها. فهو يقول في (ص ٥١) عن عدد الفقهاء «ينبغي للفقهاء ان يعملوا فرادي او مجتمعين من أجل اقامة حكومة شرعية تعمل على اقامة الحدود وحفظ الثغور واقرار النظام. واذا كانت الاهلية لذلك منحصرة في فرد كان ذلك عليه واجبا عينيا والا فالواجب كفائي» ومن التجربة العملية لابد ان يكون استنتاج الخميني هو ان الاهلية قد اصبحت منحصرة في فرد واحد هو شخصهلذلك فعليه هو بالذات هذا الواجب. المعروف ان الخميني ليس هو المرجع الاول في المذهب الشيعي ولكن بما انه استطاع تكوين الحكومة الاسلامية فلابد انه يعتبر نفسه ذلك الفقيه الذي تتوفر فيه هذه الشروط لان الخميني لا يعتبر واجبات الفقيه محصورة بامور الدين بل يجب ان يكون مرجعا في جميع شؤ ون الدين والدنيا.

ان قضية الحكم ـ كما قلنا هي القضية الرئيسية في تفكيره كما يدل على ذلك عنوان الكتاب ففكره يتجه نحو شخصه فالفقيه الذي تتوفر فيه هذه الشروط هو بالذات ففي صفحة (٣٩) **يقول مايلي: «فاذا اردنا تخليد احكام الشرع عمليا ومنع الظلم والاعتداء على حقوق الضعفاء من الخلق ومنع الفساد في الارض، ومن أجل تطبيق احكام الشرع بشكل عادل، ومحاربة البدع والضلالات التي تقررها المجالس النيابية ـ البرلمانية ـ المزيفة، ومنع نفوذ وتدخل الاعداء في شؤ ون المسلمين، من أجل ذلك كله لابد من تشكيل الحكومة. لان ذلك كله مما تنهض باعبائه الحكومة بقيادة حاكم أمين صالح لاجور عنده ولا انحراف ولا فساد».** في هذا النص اشار الى ان المجالس النيابية مزيفة وهو نص عام يشمل جميع ـ المجالس النيابية ولا يقتصر على مجلس محدد فيه تزييف الامر الذي يدل على حقيقة تفكير هذا الشخص فيما يتعلق بشكل نظام الحكم وموقفه من المؤسسات الديمقراطية. وفي النص ايضا اشارة الى ان الحكومة الاسلامية تقوم بقيادة حاكم أمين صالح. . . ألخ والاشارة هنا الى فرد وليس لافراد. ومن الامور الاساسية في هذا الكتاب هي بحث مسألة علاقة رجال الدين بالسياسة. والخميني له فهم خاص لتلك العلاقة فهو يرى ان رجال الدين يجب الا يقتصر نشاطهم على شؤ ون الدين ويجب ان يقتصر

على المساهمة في النشاط السياسي العام الذي تخوضه جميع فئات الشعب من أجل الصالح العام للبلاد بل دور رجال الدين هو الحكم بالذات وهذا هو معنى ولاية الفقيه فالحكومة غير موجودة اذا لم تكن بقيادة الفقيه. لذلك نجده يتحدث عن ضرورة تشكيل الحكومة الاسلامية حتى وكأن البلدان الاسلامية ليس فيها حكومات لا بل انه يعتبر الحكومة غير موجودة في الفترة التي تلت الصدر الاول للاسلام وعلى وجه التحديد ان الاسلام قد فقد الحكومة الاسلامية منذ قيادة الدولة الاموية وبعدها الدولة العباسية (ص٧١) وكان الخميني يعتبر الحكومة الاسلامية غير موجودة منذ وقت إلقائه تلك المحاضرات أما الآن ـ فمن دون شك انه يرى ان الحكومة الاسلامية قد فقدت منذ صدر الاسلام لحد قيام الجمهورية الاسلامية. واذا كان حكم الفقيه واجب الطاعة على جميع المسلمين كما ورد في النصوص المذكورة اعلاه فان من المنطقي ان يكون لهذا الفقيه في ايران وهو الخميني ولاية على جميع المسلمين وليس على مسلمي ايران فقط. ومن المنطقي ان نستنتج ايضا ان الجمهورية الاسلامية ليست كأي دولة اسلامية اخرى بل هي قاعدة الثورة الاسلامية وهي بالتالي ذات وضع خاص وهو وضع القيادة وما يصدر عنها واجب الطاعة من قبل الدول الاسلامية الاخرى.

ومما يدل على الاهتمام الاساسي بقضية الحكم هو ان العنوان جاء ينص على الحكومة الاسلامية وليس الدولة الاسلامية فالدولة شيء اعم والحكومة هي احدى عناصر الدولة فالاهتمام منصب على الحكومة اي على الحكم وليس على تكوين كيان للمسلمين فالفقيه هو رأس الحكومة الاسلامية أو هو الحكومة الاسلامية الذي يتخذ القرارات الاساسية ويجمع السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية بيده كما يدل على ذلك ما ورد في الجزء المعنون «الفقهاء امناء الرسل في قيادة الجيوش وادارة المجتمع والدفاع عن الامة والقضاء بين الناس» (ص٦٩) ومقارنة هذه الاقوال بالواقع الذي اصبح فيه الخميني بعد استلام السلطة تدلل على عمق هذا التفكير بشخصه على انه هو الفقيه المقصود فقد اعطى الخميني حسب نصوص الدستور سلطات استثنائية فوق المؤسسات الدستورية وفوق الارادة العامة التي يمثلها الانتخاب كما انه اصبح يلقب بالامام وتحول إسمه الى آية الله روح الله الموسوي الخميني. وهو لم يعترض على ذلك مما يدل على رضائه على ذلك. لنتأمل النص التالي: «حجة الله تعني ان الامام مرجع للناس في جميع الامور والله قد عينه واناط به كل تصرف وتدبير من شأنه ان ينفع الناس ويسعدهم، وكذلك الفقهاء فهم مراجع الامة وقادتها. فحجة الله هو الذي عينه الله للقيام بامور المسلمين فتكون افعاله واقواله حجة على المسلمين، يجب انفاذها ولا يسمح بالتخلف عنها في اقامة الحدود وجباية الخمس والزكاة والخراج والغنائم وانفاقها» (ص٧٨) في الوقت الذي قال الخميني به هذا القول لم يكن يلقب بالامام بل في الغالب كان يعتبر نفسه الفقيه ولكنه الآن وبعد الوصول الى السلطة اصبح يلقب بالامام وهو لا يعترض على ذلك الامر الذي يدل على رضاءه بهذا المنزلة. والامام كما يقول هو مرجع الناس في جميع الامور والمقصود بالناس جميع المسلمين بالطبع اينما يكونوا وليس في ايران فقط.

ويلاحظ ايضا ان الخميني يريد تكوين دولة غير الدولة الموجودة حاليا فهو لا يريد المحافظة على ما هو موجود، الآن بل الرجوع الى الصدر الاول للاسلام وان تكون الدولة بالبساطة وبالتركيب الذي كانت عليه الدولة في عهد الرسول والفترة الاسلامية الاولى. وهو يتحدث في عدة مواضيع عن جمع السلطات في مكان واحد وهو الفقيه كما كان الحال في عهد الرسول وقد سفه في عدة اماكن مسألة تعدد سلطات الدولة التشريعية والتنفيذية والقضائية. وكما سبق ان اوضحنا السلطة مجموعة في مكان واحد هو الفقيه وصفات الفقيه هي العالم بالقوانين الاسلامية والعدالة والفقيه يحكم بأرادة الله ولا يتقيد بغير احكام الشريعة وليس عليه أية سلطة اخرى كما اوضحنا في النصوص التي اوردناها سابقا.

ويقول الخميني بأن وظيفة الفنيين هي ان نستفيد منهم في شؤ ون ثانوية اما الامور الاساسية تشريعية وتنفيذية وقضائية فيجب ان تكون بيد الفقيه. انه يقول في ص ١٣٣ ـ ١٣٤ «علينا ان نستفيد من ذوي الاختصاص العلمي والفني فيما يتعلق بالاعمال الادارية والاحصائية والتنظيمية واما مايتعلق بالادارة العليا للدولة وبشؤ ون بسط العدالة وتوفير الامن واقرار

بالعدلفذلك ما يختص به الفقيه . » وبعبارة اخرى انه يرى الاستفادة من الفنيين في المستويات الدنيا من الدولة اما المستويات العليا فيجب ان تكون بيد واحدة ويجب ان تكون بسيطة على غرار ما كان في ايام الرسول.

وكنتيجة منطقية لذلك فهويدعو الى تكوين حكومة بسيطة من حيث ادواتها ونظمها وطرق عملها الى الحد الذي يكون على غرار ما كان موجودا في عهد الرسول. ففي مواضع عديدة يورد ان القضاء في عهد الرسول كان يدارمن دكة في الجامع . اليكم النص التالي: «ففي الاسلام ـ ايام حكمه ـ كان يجري القضاء وتقام الحدود والتعزيزات ويفصل في النزاعات ببساطة تامة . كان القاضي يكتفي لبقوم بكل ذلك ببضعة اشخاص يضاف الى ذلك قلم وقليل من الحبر والورق ومن وراء ذلك كان يوجه الناس الى العمل من أجل حياة شريفة فاضلة . اما الآن فالله يعلم عدد دوائر العدل ودواوينها وموظفيها وكلها عقيمة لا تقدم للناس نفعا سوى ما تسببه لهم من اتعاب ومصاعب، وتضييع للاوقات والاموال وبالتالي تضييع للقضايا والحقوق» . . . (ص٤٤ ، ٤٥).

هذه هي خلاصة الافكار التي تحدث بها هذا الانسان قبل عشر سنوات وهويعمل على تطبيقها الآن بعد وصوله الى السلطة وخلاصتها النهائية تكوين دولة بقيادته هو شخصيا لانه هو الامام وهو الفقيه الذي يجب ان تجتمع في يده جميع السلطات وان يكون نظامه وسلطاته هذه فوق كل مؤسسة دنيوية وفوق ارادة الشعب لان الامام والفقيه بنظره يستمد سلطته من الله. والحكومة هذه هي ليست ما نعرفه في القرن العشرين سواء اكانت في البلدان المتقدمة ام في البلدان المتخلفة بل تشبه ما كان موجودا في صدر الاسلام . وبالطبع بالامكان لمحلل الاوضاع التي تمر بها ايران الآن ان يستنتج الكثير ولعل اهم ما يسترعي الانتباه ان النظام الذي يتربع عليه الآن في ايران انما هو نظام يجب الا يأخذ في الحساب آراء الشعب الايراني اذا كانت غير مهم متفقة مع آرائه هو في كيفية تسيير الحكم للسبب البسيط هو ان آراءه من الله.

كما انه المتربع على هذا النظام لا يهمه ما يشعر به الناس الآن وما يحصل لهم من بؤس وشقاء لسبب بسيط ايضا هو ان ذلك غير مهم مادام هو ينفذ ارادة الله في الارض فتكوين الحكومة الاسلامية اهم من اي شيء آخر بما في ذلك سعادة الشعب الايراني .

ويستطيع المحلل ان يرى بوضوح اي نوع من التفكير الرجعي هذا الذي يدعو الى القول بثبوت الاشكال وعدم تغييرها بعد مرور ألف واربعمائة سنة والاعتقاد بأن تقليد الاشكال بحد ذاته كفيل بارجاع الجوهر. ان هذه الصفات في هذا التفكير كفيلة بجعله ظاهرة عابرة كغيرها من الظواهر التي طفت على السطح وزالت لانها تقف على طرفي نقيض من اتجاه التقدم الذي احرزته البشرية بالكفاح الشاق الطويل خلال القرون .

القديم الجديد في الاطماع الايرانية

لايران اطماع قديمة في البلاد العربية المجاورة لها الا أن هذه الاطماع قد تجددت بمجيىء النظام الجديد في ايران باعطائها بعدا جديدا واسلوبا جديدا . فما هو مسلسل الاطماع الفارسية القديم؟ لابد من القاء نظرة سريعة عليه . لحد ١٨٤٧ كانت الحدود بين ايران والعراق غير الحدود الحالية فقد كانت جزيرة عبادان التي تسمى جزيرة خضر وكل المحمرة وشط العرب ضمن الحدود العراقية الى ان أتت سنة ١٨٤٧ حيث عقدت معاهدة ارضروم الاولى فضمت ايران بموجبها جزيرة عبادان والمحمرة وأراضي تقع على الضفة الشرقية لشط العرب وفي ١٩١٣ حصلت ايران بموجب بروتوكول القسطنطينية ومحاضر ١٩١٤ على سبعة جزر في شط العرب وعلى مرسى امام مدينة المحمرة . لنصف شط العرب ولمسافة أربعة اميال . وفي ١٩٣٧ حصلت ايران على نصف شط العرب في مكان آخر مقابل عبادان ولمسافة ٤ أميال أيضا . وفي ١٩٧٥ اخذت ايران نصف شط العرب بأكمله وبذلك قضمت هذا النهر الوطني قطعة قطعة . ومن ذلك ابتدأت في محاولات التدخل في شؤون الرى بالعراق وفي شؤون الملاحة في هذا النهر الذي يشكل المنفذ البحري الرئيسي للعراق حيث كانت هناك بدايات رمزية لهذا التدخل

في أواخر ايام الشاه. هذا بالاضافة الى احتلال الجزر العربية الثلاث في ١٩٧١ - في الخليج العربي. هذا هو المسلسل القديم الذى ورثه النظام الجديد وخرص على المحافظة عليه وتحديده ببعد جديد واسلوب جديد.

هناك عنصران اساسيان في السياسة الخارجية للنظام الجديد الاول المحافظة الكاملة على المكاسب الاقليمية التي حققها العهد القديم على حساب جيرانه من البلاد العربية والثاني هو مايسمى بتصدير الثورة. وهذان العنصران ممتزجان ويكمل بعضهما البعض الآخر في سياسة خارجية واضحة المعالم قوامها الاساسي هو التوسع والنظرة لخارج الحدود. ان هذا النظام لم يصدر منه عمل واحد اوكلمة واحدة ضد ما قام به العهد القديم في مجال التوسع الاقليمي بل حافظ عليه تماما ودافع عنه واعتبره تحصيل حاصل وامرا مفروغا منه بالرغم من كل الكلام والضجيج عن التقدمية والتحرر وفساد نظام الشاه.. ألخ. فما قام به الشاه شيطاني مكروه الا في هذه الناحية.

ويلاحظ ان هذا التمسك بالتركة الاستعمارية للنظام القديم لاتقتصر على هذا النظام بل تشاركه فيها الفئات السياسية الاخرى والشخصيات المثقفة التي شاركت في الحكم ابتداء من موقف مصدق من البحرين. لذلك فليس من الصحيح الحديث عن السياسة الاستعمارية التي كان يتبعها الشاه على انها موقف خاص بالشاه بل هي حصيلة موقف عام قوامه التعصب والحقد الفارسي على العرب المعروف الجذور في التاريخ البعيد.

في مسألة الاراضي التي استحوذ عليها النظام القديم سواء على حدود العراق اوعلى حدود البلاد العربية الخليجية موقف النظام الايراني الجديد واضح لا لبس فيه. وكلنا يتذكر التصريحات المتعددة من رجال العهد الجديد بخصوص البحرين التي عبرت عن هذا الموقف الاستعماري التوسعي. ويلاحظ ايضا ان هذا الموقف لايقتصر على الخميني بل هو موقف عام تقريبا يشترك فيه كل الوسط الكهنوتي الحاكم في ايران الآن. فقد قال صادق روحاني في مؤتمر عقده في مدينة قم ونقلته جريدة الرأى العام الكويتية في ١٦/٦/٩٧٩ «ان البحرين ستظل جزءاً لا يتجزأ من ايران» ونقلت وكالة الأنباء الالمانية الغربية عن صحيفة ايانديجان نقلته الرأي العام الكويتية في ١٩/٦/١٩٧٩ ان وزير العمل الايراني داريوش فروهر قال بتصريح له «بأن جزيرة البحرين وليست الجزر الثلاث فقط تنتمي الى ايران» وقال واصفا تقرير الأمم المتحدة الذى يؤكد ان سكان البحرين يرفضون الاتحاد مع ايران بأنه «استفتاء مزور». صدرت مثل هذه التصريحات في العهد الجديد ولم ينفها احد من مسؤولي النظام. في حين انه كان من المنتظر جدا بعد كل ذلك الكلام عن المبادىء ان يقوم النظام الجديد بتصفية تلك التركة ورفض هذا الجانب من سياسة الشاه ولكن شيئا من ذلك لم يحدث. أليس من المعقول جدا ان ننتظر من النظام الجديد التخلي عما أخذ بالقوة ومن دون وجه حق من اراضي البلاد العربية؟ فهذه الثورة في البرتغال التي لم يكن لها مثل ادعاءات الثورة الايرانية ولا نفس الكلام والضجيج قد دخلت فورا في مجال تصفية التركة الاستعمارية فانسحبت من مستعمراتها في افريقيا... ليس فقط ذلك لم يحصل بالنسبة لنظام ايران ولكن النظام الجديد ادخل على تلك التركة بعدا جديدا وطريقة اضافية كما قلنا ويتمثل ذلك فيما يطلق عليه اسم تصدير الثورة فما هو تصدير الثورة هذا؟

بمناسبة عيد الفطر وجه الخميني تهنئة الى المسلمين دعاهم الى قلب كل الانظمة العربية القائمة عدا النظام الايراني لانها ضد الاسلام ونقلت ذلك مجلة الحوادث في بيروت في ٢٩/٨/١٩٨٠. وجاء في كلمة للخميني ألقاها عنه ابنه في الاذاعة يوم ٢١/٣/١٩٨٠ مانصه «يجب ان نبذل قصارى جهدنا لتصدير ثورتنا الى الاجزاء الاخرى من العالم ونترك فكرة ابقاء الثورة ضمن حدودنا «نقلت جريدة السياسة الكويتية في ٩/٤/١٩٨١، عن صحيفة (صراط مستقيم) وهي من صحف حزب الجمهورية الاسلامية السرية ان الخميني قال في حديث له مع رجال الدين من اعضاء الحزب المذكور مانصه «ان ايران مهيأة اليوم لقيادة الثورة في العالم كله وان هذا المبدأ يحتاج الى تضحيات وصبر وايمان وان مهمة علماء الدين هي اعادة رسالة الاسلام وهذا الأمر لايتحقق الا بالتحريض على الثورة في ارض الجزيرة العربية والعراق وبلاد الشام وافريقيا ودول العالم الاخرى وخاطبهم قائلا بنفس الحديث «ان مهمتكم عظيمة اذا كانت تسير بهذا الاتجاه. اتجاه اعادة مجد ايران من خلال اقامة امبراطورية اسلامية تكون ايران قاعدة انطلاقها. ان هذا هو قدر ايران اليوم في اشعال نار الثورة ودعوة المسلمين للجهاد ضد حكامهم».

ولنتمعن قليلا في قضية تصدير الثورة. ماهي المناطق التي تحتل الاولوية في تصدير الثورة؟ الواضح من الحوادث هو ان العراق والمملكة السعودية والدول العربية الخليجيه لها الاولوية بالرغم من التوجه الايراني نحو جميع الدول الاسلامية.

ونستدل على ذلك من الحوادث، ففي العراق عمل النظام العنف بالنسبة لايران فايران كان يحكمها نظام فاسد يستخدم العنف فان اختار الشعب الايراني طريق العنف لازالته فذلك أمر طبيعي. المقصود في هذا المجال هو أن نوضح ان مفهوم تصدير الثورة الى الدول الاخرى لابد ان يتم بطريق العنف أيضا. فالخميني ومن معه استخدموا العنف للاطاحة بنظام الشاه بطريقة معينة ذات ملامح وربما بعض الخصائص من حيث تنظيم الدعاية والتعبئة الجماهيرية وارادو ان يطبقوا نفس ذلك تماما في مسعاهم لتصدير الثورة للبلدان الاخرى. وفي الحقيقة ان الذي يحلل التفكير السياسي للخميني ومن معه يصل الى الاستنتاج انه لايعتبر الثورة في ايران الا ثورة دينية اساسها خروج نظام الشاه عن الدين وليس ثورة اجتماعية بمعنى انها حصيلة التطور الاجتماعي والاقتصادى والسياسي للشعب الايراني. أما وان الثورة دينية والدين أوسع من ايران لذلك فالثورة يجب أن تتسع لتشمل البلدان الاسلامية الاخرى عن طريق التصدير بنفس الطريقة التي اتبعت في ايران.

والجانب الآخر يتعلق بالمحتوى. ماهو الذى يجب تصديره؟ المقصود ليس أمرا سلبيا مقصورا على ازالة الحكام وتبديل الانظمة بل ازالة الحكام واحلال اشخاص معينين مكانهم هم رجال الدين من الجاليات الايرانية او من الموالين لهم. وتبديل الانظمة يعني احلال نفس النظام الموجود في ايران. يلاحظ مثلا ان المقترح الايراني لحل قضية افغانستان قد تضمن بوضوح وضع السلطة في يد مجلس من رجال الدين وفي معرض قضية البحرين صرح - صادق روحاني لوكالة الصحافة الفرنسية ونقلته جريدة العرب في لندن في ١٧/٩/١٩٧٩ حيث قال ان «شعب البحرين يريد اقامة جمهورية اسلامية على النموذج الايراني، وان البحرينيين سيشهرون السلاح اذا اصر النظام على الاستمرار في سياسته الراهنة» ويبدو ان النظام الايراني لديه فكرة واضحة عن الجهاز الذى يريد اقامته لتصدير هذه الثورة والجهاز هذا مرتبط بايران مكونا شبكة من رجال الدين في البلدان الاسلامية ترتبط بالمقر ايران أى بالخميني. لذلك فقد أخذ الخميني بتعيين مسؤولين للشؤون الدينية في بعض البلدان الاخرى فمحمد باقر الصدر هو ممثل الخميني في العراق وعندما اراد ترك العراق ابرق له الخميني بضرورة البقاء فبقي. وحسين منتظرى أعلن في تصريح نشرته جريدة العرب في لندن في ١٧/٨/١٩٧٩ اوضح فيه دهشته لما سماه بالقمع الذى يتعرض له الشيعة في الكويت وقيام السلطات الكويتية بالحد من تحركات الممثل الخاص للخميني. وقال بنفس التصريح «ان السلطات البحرينية تسىء معاملة الممثل الخاص للخميني في البحرين» والخميني نفسه يطلب في ٩/٩/١٩٧٩ من احد رجال الدين وهو حاج سيد رضا برقص ان يتوجه الى قطر «لدراسة الوضع بالمنطقة عن كثب والاقامة هناك لحل مشاكل المواطنين الدينية» اذن فالموضوع هو ربط هذه البلدان بتنظيم ديني مرتبط بايران يتم عن طريقه تصدير الثورة أى قلب انظمة الحكم والاستيلاء على السلطة السياسية بالقوة. ولكن ماهو نوع النظام السياسي والاقتصادى والاجتماعي الذى يكون محتوى تلك الثورة المراد تصديرها؟ النظام الايراني الحالي بالرغم من مرور ثلاث سنوات عليه لم يستطع لحد الآن تحديد محتواه عدا مبدأ سلطة رجال الدين والحديث العام عن الدولة الاسلامية. اذن فالثورة التي ستصدر لايمكن ان تتجاوز في نظامها السياسي ما استطاع النظام الايراني نفسه تحقيقه وهو قليل وقليل جدا. والمقصود واقعيا بتصدير الثورة هو في الحقيقة خلق انظمة تابعة للنظام الايراني وموالية له. والنتيجة المنطقية لذلك هي السيطرة السياسية على البلاد التي تصدر اليها الثورة وبذلك تكون الثورة المصدرة وسيلة للتوسع والهيمنة على بلدان اخرى. هذا هو البعد الجديد للسياسة الايرانية القديمة بعد ان كانت سياسة التوسع الايراني وبسط الهيمنة في السابق قائمة على طريقة الخطوات المتدرجة في استغلال الظروف واتباع اساليب المناورة المبطنة والتحالف مع القوى الاستعمارية للحصول على اطلاق اليد وتبادل المنافع وبناء القوة العسكرية واستخدام السياسة النفطية كأدوات لتحقيق المكاسب الاقليمية خطوة خطوة وعلى فترات وحسب ما تسمح به الظروف. السياسة القديمة أصبح لها الآن بعدا جديدا هو

استخـدام شبكـة رجـال الـدين واسـاليب العنف والـدعـايـة السيـاسيـة التي استخدمت بنجاح لاسقاط نظام الشاه واستثمار المشاعر الدينية وتحريك النعرات الطائفية لزعزعة انظمة البلدان التي يراد تصـدير الثـورة اليهـا. وبعبـارات اخـرى بينما كانت الاسـاليب السيـاسيـة (بـالمعنى الـواسع للسياسة) هي المعول عليهـا في العهـد القـديم اضـاف العهـد الجـديد لها الاساليب الثـوريـة على طريقته المعروفة، وبينما كان العهد القديم يهدف لتحقيق قضـمات في الارض من الـدول المجـاورة اتجـه العهـد الجـديـد نحـو قلب الانظمة والاستيلاء على السلطة السياسية على غرار ما حصـل في ايـران. هذه هي ملامـح البعـد الجديد للسياسة الايرانية في عهد الخميني.

المعـروف هو ان لنظـام الخميني الآن جهـازاً للتنظيم والعمـل السري المسلح غير معلن عنه لتنفيذ مهمة تصدير الثورة الا أن ـ النظام لم يكتف بذلك بل اختار العلانية في العمل عندما أسس جهـازا في وزارة الخـارجية الايرانية وبالتالي اقساما في السفارات الايرانية في البلدان الاخرى يختص بشؤ ون تصدير الثورة وبهذا الأسم بالذات.

أمـا الهـدف من حيث الجـوهـر فهو واحد في الحالتين الا وهو الهيمنة والسيطرة في خارج الحدود وفي حالة كهذه يصبح التوسع الاقليمي نتيجـة طبيعيـة اذ ليس من المستبعـد أبـدا ان يكـون حكـام ايـران الجـدد يفكـرون بدولـة تشمـل بالاضـافة لايران العراق والسعودية والدول العربية الاخرى على الخليج العربي كخطـوة اولى في برنـامـج تصدير الثورة. ودولة كهذه تتركز فيها القوة الروحية للاسلام والقوة المادية للنفط.

ولابد من الاشارة في هذا الصدد ان شعار تصدير الثورة لم يكن مقصـورا على المنطقـة العـربيـة المجـاورة لايران كما اوضحا في كلام الخميني بل يشمـل مجمـوع العالم الأسلامي والدليل على هذا التـوجـه موجـود، فقـد قام النظام الجـديـد باعمال تدخل وزعـزعـة في عدد من البلدان الاسلامية الاخرى حيث تواترت الانبـاء عن اتصـالاتـه بالتجمعات الدينية والطائفية في كل من البـاكستـان وطفت على السطـح اخبـار نشـاطـاته في اندنوسيا ومـاليـزيا واعمال قام بها في تركيا والهند وقام بالاتصال بمسلمي يوغسـلافيـا وفي أمـاكن عديـدة اخـرى. وهدف النظام هو أن يكــون في هذه البلدان قوى ضغــط من الــداخل يتصل بها ويخـاطبهـا ويحـركهـا من وراء الحـدود ومن خلف ظهـر حكـومـاتها الــوطنيـة. ان تكـوين دولـة كالتي ذكـرنـا من ايـران والعـراق والسعودية ودول الخليج العربي يعني بالطبع تكوين قوة تستطيع بها لها من قوة ماديـة ومعنـويـة السيطـرة على العـالم الاسـلامي والمسـاعـدة بالتـالي على قلب انظمته واحدا بعد الآخر واحلال انظمة تابعة او موالية للمركز وهو ايران.

ان ما قام به ومـا صرح به النظـام الجـديـد في ايـران يشـير لهذا الاتجاه ويدل عليه.

هذا ما يريد النظام الايراني الجديد تحقيقه فيما يتعلق بالبلاد العـربيـة وبقيـة الـدول الاسلامية معبرا عن توجهه هذا بشعار تصـديـر الثورة فما هي النتائج؟ البلاد العربية لايمكن ان تشهد عمليـة التـوسـع الايـراني هذه على حسـاب الاراضي العربية لذلك اخذت تقاوم والعراق بدأ هذه المقاومة التي لابد ان تتسع لبـاقي اجـزاء الـوطن العـربي عاجـلا أم آجلا. ان هذا الحلم الفـارسي القـديم الذي أخذ بعدا جديدا اليوم لن يجد الارض ممهـدة امـامـه فالمنطقـة المجـاورة ليست ارضـا خالية بلا شعب وبـلاقيـادة تدرك الخطر وتقف بوجهه بجدارة والحرب العراقية ـ الايرانية هي البداية، والنتيجة لايمكن ان تكون مغايرة لما آلت اليـه جميـع احـلام التـوسـع بشتى اشكالها وبمختلف حقبات التـاريـخ. فالحق المـدعـوم بالقـوة لا يمكن الا أن ينتصـر على البـاطـل وإن كان مدعـوما ببعض القوة. هذا هو معتقدنا نحن ابناء الارض التي ظهرت فيها جميع الاديان السماوية.

فيـما يتعلق بالمحتـوى، الثورة الايرانية لم تحقق شيئا ملموسا لحد الآن وان كان لتصـديـرهـا أيـة نتـائـج عمليـة فلن تكـون إلا سلبيـة. ان اشـاعـة هذا النـوع من التعصب الـديني سوف لن يطلق المعاني الايجابية في الدين الاسلامي وفي خضم التعصب لايمكن ان يظهـر الجـوهـر ـ جوهـر الاسـلام التقـدمي المعني باصـلاح حيـاة الانسان وبناء اخلاقه وتقوية قوامه الروحي. في خضـم التعصب لن يتـاح لغـير الانقسـام والتنـاحر على أسس دينيـة وطـائفية بالظهور. فالنتيجة العملية هي الانقسام الوطني بين صفـوف الشعب الـواحد على اساس ديني والنظام الايراني في دعـايتـه السيـاسيـة لا يخجـل من ذلك بل يدعوله صراحة. ولا

يقتصر الأمر على ذلك بل ان جو التعصب والتفتيش عن العصبية اللازمة للولاء السياسي لابد أن يؤدى الى احياء التعصب الطائفي الذى إتسمت به القرون الوسطى المظلمة. عمليا هذا ما يمكن ان يترشح عن عملية تصدير الثورة للخارج.

بقي ان نقول شيئا عن الطريقة فالنظام القائم في ايران لم يضف بعدا جديدا للاطماع الايرانية القديمة فحسب بل له طريقة لم تكن متبعة تماما في العهد السابق هي طريقة الغضب والهيجان العصبي والقسوة واستخدام العنف المتناهي. ان هذا الطابع الذى يطبع العمل في فرض السلطة في الداخل وفي عملية اخضاع الأخرين في الخارج هي صفة يختص بها هذا النظام فاعدام الأطفال والنساء او الاعتداء على القبور ورمي حامض الكبريتيك على الوجه واستخدام السموم والقتل العلني في الشوارع كلها امور تصنف في عداد القسوة التي تعافها عادة النفس البشرية المتحضرة ـ المستيقظة الروح، فهي من نتاج اطلاق الغرائز البشرية وتوتر الاعصاب وضمور الحس الانساني لصالح الجانب الحيواني في الانسان.

ان هذه الصفة هي اضافة هذا النظام للتركة القديمة. ان النتائج البشرية والروحية لهذه الوسائل لايصعب معرفتها بالنسبة لشعب ايران وللشعوب الاخرى التي تمارس ضدها وان كان يهمنا منها أمر في هذا الصدد فهو مسألة لابد ان تهمنا بصورة خاصة نحن العرب الا وهي اثرها على الاسلام ومركز المسلمين في العالم. **ان هذه الممارسات الوحشية التي ترتكب تحت شعار الاسلام لايمكن الا أن تكون لها نتائج سلبية على سمعة هذا الدين العظيم ومكانته في العالم. اننا العرب خاصة** والمسلمون ـ بصورة عامة عانينا كثيرا من التعصب الديني والمذهبي ومن محاولات تشويه سمعة الاسلام في العالم، وبذلنا جهودا لاعطاء الصورة الحقيقية عن الاسلام نواجه اليوم بوضع مادي يصعب تبديده هو ان هذا النظام يمارس مثل هذه الاساليب باسم الاسلام وتحت شعار تصدير الثورة الاسلامية. ان الأثر السلبي لذلك ليس بالأمر الهين وان لم يكن ملموساً وظاهرا في الأمد القصير.

والخلاصة هي ان الثورة الايرانية مهما كان أثرها الايجابي او السلبي بالنسبة لايران فهو أمر تختص به الشعوب الايرانية وهي صاحبة الحكم الأخير وتتحمل المسؤولية وتجنى الثمار سلبا أو ايجابا. انها قد ازالت نظاما فاسدا عاتيا وهي لهذا الحد ثورة أما نتائجها العملية فيما يتعدى ذلك على الشعوب الايرانية فأمر يخص تلك الشعوب. اما فيما يتعلق فينا نحن العرب فان النظام القديم كان يسير في اتجاه التوسع على حساب ارضنا والهيمنة على منطقتنا وهذا ماحافظ عليه النظام الجديد تماما واضاف له بعدا جديدا بطريقة جديدة أيضا والبعد الجديد الذى يجسده شعار ـ تصدير الثورة يهدف في حقيقته الى احتلال اقطار عربية برمتها كمرحلة اولى هي العراق والسعودية ودول الخليج العربي الاخرى وضمها الى ايران عمليا. كل ذلك عن طريق العنف والعمل المسلح وبأسلوب فيه الكثير من القسوة والوحشية... ومن هنا تتضح قضية غاية في الأهمية هي أن التعصب الفارسي يحاول التعبير عن نفسه من خلال الاسلام الذي يتحمل في النهاية ما تتضمنه هذه العملية من تخريب واساءة ويحصل هذا للمرة الثانية في التاريخ فبعد سقوط الامبراطورية الفارسية على ايدى العرب المسلمين في القادسية ونهاوند عملت العصبية الفارسية على تحقيق مطامعها لامن خارج الاسلام أى بمجابهته بل من داخله وباسمه فحصل ما حصل ايام الدولة العباسية كما هو معروف.. واليوم تحاول المطامع الفارسية ان تحقق مطامعها مستخدمة الاسلام كوسيلة لا كغاية. انها المطامع القديمة الجديدة وعلينا كعرب وكمسلمين ان نجابهها دفاعا عن بلادنا وديننا.

خير الشريف

الحرب حالة غير حسنة بالقياس المطلق والسلم أفضل من الحرب على هذا الاساس. ولكن لا يصح ذلك الا عندما يكون البديل للحرب هو السلم الحقيقي. اما عندما يكون البديل غير السلم الحقيقي يصبح المقياس نسبياً وعلى الانسان ان يتصور ذلك البديل كاملا غير منقوص فلا يبالغ فيه ولا يستهين به أو ينقص من حجمه فماذا كان يمكن ان يكون البديل للحرب العراقية ـ الايرانية؟.... صحيح ان الحرب قد ادت الى تضحيات مادية وبشرية ومعنوية وصحيح انها

امتدت لأجل اطول مما يتمناه الراغبون في السلم الحقيقي، ولكن ماهو المقياس لكل ذلك هل هو المطلق أم النسبي؟ لوكان البديل هو حصول العراق على حقوقه المشروعة في الارض وفي شط العرب وحصول العرب على حقوقهم المشروعة في الجزر العربية الثلاث وقيام حالة من الود والتعاون بين ايران وجيرانها العرب وعدم التدخل في شؤون بعضهم البعض واحترام كل جهة لاختيارات الجهة الاخرى في مجال النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتعاونهم من أجل المصلحة الشرعية المشتركة، نقول لوكان هذا هو البديل فهومن دون شك أفضل من الحرب. ولكن هل كان هذا هو الذي سيحصل لولم تقم الحرب؟ الجواب يكمن في نوعية الاعمال والاقوال التي صدرت من النظام الايراني منذ مجيئه للسلطة. كيف ينظر هذا النظام لعلاقاته مع البلاد العربية المجاورة ومنها العراق؟

النظام الايراني الذي بقي منذ مجيئه للسلطة وحتى هذا التاريخ يتمسك تمسكا تاما بجميع ماحققه الشاه من توسع اقليمي على حساب البلاد العربية المجاورة. فالاراضي العراقية التي كانت القوات الايرانية تحتلها والتي كان عليها أن تخليها بقيت محتلة وشط العرب تتمسك باحتلال نصفه وحتى انها وضعت له تسمية فارسية جديدة والجزر العربية الثلاث التي احتلها الشاه بالقوة بقيت تحت الاحتلال الايراني وباصرار والبحرين نفسها بنظر النظام الجديد لايران مطلب فيها كما جاء بالتصريحات المتعددة التي صدرت عن اشخاص مهمين بذلك النظام.

منذ البداية كان النظام الايراني الجديد يتطلع لخارج حدوده. فبدأت الحملة الاعلامية على العراق والدول العربية الخليجية بدون مبرر وبدا التصرف الايراني ازاء هذه البلدان على اساس ان انظمة هذه البلدان غير اسلامية... يجب ازالتها كما ازيل نظام الشاه. فالدول العربية في الخليج العربي غير مستقلة على حد تعبير احدى التصريحات الايرانية ونظام العراق كافر ملحد على المسلمين واجب مقاومته وهكذا.

ولكن كل ذلك مظاهر لحالة وتجسيد عملي لموقف فما هو هذا الموقف الذي سيطر على النظام الجديد؟ الموقف هو الحالة العدوانية والتوسعية التي كانت السمة الرئيسية له. لقد لعبت افكار الاطماع الفارسية القديمة ونظرتها الخاصة لهذه المنطقة على انها منطقة نفوذ دورا كما لعبت الحالة النفسية التي خلقها الانتصار على نظام الشاه دورا في خلق هذا المركب من موقف العدوان ازاء الجيران العرب وموقف التوسع والهيمنة على المنطقة.

وكأمثله عملية على هذا الموقف الذهني للنظام هو انه عندما كان يمارس اعتداء على حدود العراق ويقوم العراق بالرد على الاعتداء تصيبه حالة هيجان وغضب شديد. كيف يجرأ العراق على الرد على عمل صادر من النظام الجديد؟.. فكان يتصرف وكأن ليس للعراق الحق وعليه الا يجرأ على الرد على العدوان بالمثل. لقد كان يرى بمجرد الرد عدوانا يجب ان يعاقب بشدة وهكذا تماما كالعقلية الفاشية وكالتصرف الصهيوني ازاء البلاد العربية... ومن هنا فقد صعد النظام الايراني من حملاته العدوانية على الحدود اذ كان يقابل الرد العراقي لاعلى اساس انه دفاع مشروع بل انه ذنب لا يغتفر ويجب ان يعاقب باعتداء أشد. لذلك وبهذه الطريقة المتصاعدة قاد النظام الأيراني الوضع المتدهور نحو الحرب وبدأ باستخدام قواته واصدر اربعة بلاغات عسكرية يومي ١٨ و١٩ من شهر ايلول أي قبل يوم (٢٢) أيلول وكانت تلك البيانات تعكس هذه الروح العدوانية اذ تبجح باعماله العسكرية ضد الاراضي والمنشآت النفطية العراقية.

ماذا كان سيحصل لولم يدافع العراق عن نفسه، لوفضل ابقاء حالة السلم وتحمل الاذى والعدوان من الجانب الايراني؟ النتيجة كانت ستكون امعان النظام الايراني بعدوانه وتصعيده لحالة الاعتداءات ولأمعن هذا النظام في محاولاته زعزعة الأمن الداخلي للعراق بشتى الوسائل ولكانت النتيجة هي اشعال حرب مزدوجة في الداخل وعلى الحدود ولكان العراق حصيلة لذلك في موقف الضعف والدفاع.

ماذا كان سيحصل في منطقة الخليج العربي لولم يتصدَّ العراق للعدوان؟ النتيجة، اظنها غير صعبة التنبؤ. لقد قام النظام الجديد في ايران منذ البداية الاولى لمجيئه بعملية تنظيم جديد للجالية الفارسية في بلدان هذه المنطقة وقد قام صادق خلخالي بجولة لهذا الغرض بدأها بدبي، تماما كما كان الشاه يستعمل الجالية الايرانية التي عمل بكل الوسائل على تكوينها في هذه البلدان كقوة ضغط داخلي. وحصيلة ذلك ستكون زعزة

هذه الانظمة من الداخل وضربها الواحدة تلو الاخرى. ومنطقي ان يكون للسعودية وضع واهمية خاصة بالنسبة للنظام الايراني اذ انه ينظر للاماكن المقدسة ولمناسبة الحج كوسائل للدعاية السياسية.

النظام الايراني لا يعتبر ان ماحصل في ايران هو ثورة لاصلاح اوضاع ايران بل نقطة بداية لثورة اسلامية (بمفهومه الخاص لذلك) لذلك فالسعودية تحتل مكانا خاصا في هذا التصور لما لها من اهمية عند المسلمين... وبالرغم من كل الادعاءات عن الاهتمام بالمسائل الدينية فالنظام الايراني قد ورث من عهد الشاه اهتماما ماديا أيضا هو منابع النفط. ولابد هنا الرجوع للتاريخ القريب. كان الشاه في البداية يضغط على الشركات النفطية العاملة في ايران لزيادة الانتاج في كل عام حتى انه تبجح مرة بأن اجبر الشركات على نسبة زيادة ١٦٪ لاحدى تلك السنين... ولكننا نلاحظ بعد فترة من الوقت انه لم يعد يطالب بزيادة الانتاج بل بزيادة الاسعار واخذ يتحدث عن ضرورة المحافظة على هذه المادة وعدم التوسع في استهلاكها وانها يجب ان تستخدم لانتاج المشتقات الغالية بدلا من تبديدها كمصدر للطاقة الرخيصة. وقد صحب هذا التحول في اهتمامات الشاه صدور نتف من المعلومات في العالم عن هبوط في إحتياطيات الحقول الايرانية كما ان ايران لم تعد تنشر ارقاما عن تلك الاحتياطيات. وكان الشاه في السنوات الاخيرة يفكر قطعا في مصادر نفطية جديدة للمستقبل واخذ يبني قوة عسكرية هائلة خاصة في الخليج العربي وأقدم على احتلال الجزر العربية الثلاث اذ في احداها وهي ابوموسى احتياطي ثابت للنفط. اذن فمنطقة الخليج العربي هي المجال الحيوي للتوسع لايران المحتاجة مستقبلا لمصادر نفطية جديدة. ترى هل يعقل ان النظام الجديد لم يفكر بذلك عندما استمر في سياسة الشاه التي اختطها للهيمنة على منطقة الخليج العربي؟ التحليل المنطقي والوقائع تشير الى انه كان يفكر بذلك. فالنظام الجديد يحتاج لمصادر مالية جديدة سيما وانه مقبل على مغامرات خارجية باسم الاسلام تمتد من اندونوسيا الى يوغسلافيا وهو بحاجة الى المال الوفير داخليا لتثبيت وجوده.

كانت ايران ستدبر المؤامرات على البلدان العربية الخليجية بقصد قلب انظمتها واحلال انظمة موالية لها أو حتى ضمها الى ايران كما هي الحالة في البحرين. لقد اكتشفت المؤامرة على البحرين واتضح انها مخطط واسع لاستخدام العنف للاستيلاء على السلطة واحلال حكومة من الموالين لايران قوامها الاشخاص الذين اخرجوا من البلاد بسبب ارتباطهم بايران ونشاطهم المعادى للبلاد.

ان حكومة من هذا النوع كانت ستستجيب حتما لمطاليب ايران بضم البحرين دون ان ينقصها المبرر السياسي او المذهبي اذ ان الانضمام لجنة الثورة الاسلامية هو غاية المبتغى عند المتعصبين العاملين لصالح النظام الايراني. والا لماذا تتآمر ايران على البحرين وما هو السبب والدافع ان لم يكن التوسع بالارض وبسط النفوذ في المنطقة... وبعد قضية البحرين طفت على السطح اخبار التآمر على قطر. ان قراءة التصريحات الايرانية منذ عهد الشاه حتى اليوم عن هذه المنطقة توضح بجلاء حقيقة النوايا الايرانية والنظرة الايرانية. فهذه المنطقة ليست دولا مستقلة بل عليها ان تكون دوما موالية لايران بغض النظر عما تفعله ايران ازاءها. وكان سيحصل نفس الشيء في الامارات خاصة في دبي وفي الكويت التي لم تتورع ايران عن تهديدها بالتصريحات وبعدها بالغارات الجوية.

اذن حصيلة كل ذلك هو ان العلاقة بين ايران والبلاد العربية المجاورة كانت ستلتهب وتتأزم حتما وبصورة اعنف وعلى نطاق اوسع لو لم يتصد العراق للعدوان.

ربما هناك من العرب من يقول او يفكر مع نفسه بانه كان من الافضل لو لم تقم الحرب... اننا نقول بذلك ايضا ولكن ذلك لا يصح الا اذا صحت فرضية مسبقة وهي ان يكون البديل هو السلام الحقيقي فهل كان السلام الحقيقي سيتحقق لو سكت العراق وتحمل العدوان ولو سكتت البلاد العربية الاخرى على العدوان والتدخل في اوضاعها الداخلية؟ هل كان سيتحقق شيء من هذا حقا؟ من يستطيع ان يجيب على السؤال بنعم عليه ان يثبت ذلك.. ان الموجود في ايران الآن هو الافكار الايرانية القديمة عن هذه المنطقة والموقف الايراني القديم منها أي موقف التوسع ونظرة منطقة النفوذ والهيمنة والمجال الحيوي. نعم هي نفسها تماما بدليل واضح لا يقبل الشك هو تمسك هذا النظام بالاراضي العراقية التي احتلها الشاه عنوة وبنصف شط العرب الذي أخذه بظروف القوة والحرب.. وبالجزر العربية الثلاث التي احتلها بقوته البحرية مخالفا كل الاعراف الدولية وفي اول مناسبة انفجرت مطالبته بالبحرين واتضحت آراءه بشأنها وقد عبر في احدى تصريحات احد اقطابه ما معناه ان الشاه قد ارتكب معصية بتنازله عن البحرين.

وتجـدر الاشـارة الى عامـل اضافي جديـد يدفـع في نفس الاتجـاه. كان الشـاه يتبـع لتحقيق مطـامعـه وسـائـل المـراوغة ويستخـدم المـرونـة لحد ما ويـراعي الاعتبـارات الدولية احيانا ويحسب لخطـواتـه حسـاب الـربح والخسارة لحدود معينة في حين ان نظـام الخميني نظـام جامـح فج الاسـاليب مملوء بالغـرور الذي تكون نتيجة لنجاحه في اسقاط نظام الشاه، ومتعصب فى آرائه اتجـاه المشـاركة في المعركة بجانب العراق. وما ظاهرة المتطوعين من الشباب العربي من معظم الاقطار العربية وحتى من الطلبة في اوربـا الا دليـل على ذلـك. ان حربا تطول ويسفح بها الدم العـربي لا يمكن ان يبقى العـرب الاخرون بمعزل عنها فتلك من طبيعـة الاشيـاء. لقـد كان العـراق دومـا مقاتلا في الساحة القـوميـة ومـا قام به في كافـة مجالات العمـل القـومي معـروف لجماهـير الشعب وحقيقـة توجهـه القـومي واضحة لايرقى اليها الشـك عنـد الجـماهير العربية. فكيف يمكن ان يبقى أثر هذه الحـرب معـزولا ومحصـورا في نطاق العراق؟ انه أمر غير ممكن. اذن فالبـلاد العـربيـة داخلة بهذه الحـرب شاءت أم أبت وبهذه الـدرجـة أو تلك. وان هي لم تبحث لحد الان بصـورة جدية في الاجتماعات العربية فانها ستبحث غدا. اذن فالقضية موجودة.

ولكن ماذا كان يمكن ان يكـون عليـه الوضع لولم تقم هذه الحرب؟ انني متأكد بأن المشكلة مع ايران كانت ستكون موجودة أيضا ولكن بشكل اوسع واقوى واكثر حدة لولم تقم هذه الحرب لكـان للبلدان العـربيـة المجاورة للخليـج العربي سلسلة من المشـاكـل. كانت ايـران من دون شك ستعتـدي على المملكة السعودية وكانت ستعتدي على البحرين وعلى الامارات وعلى عمان وعلى قطر وعلى الكـويت بالاضـافـة لإعتـداءاتها على العـــراق. ان ايـــران التي لا تحادد لبنـان قد اضـافت للمشكلة اللبنـانيــة تعقيـدا جديـدا ورمت حطبـا جديـدا على النـار بتأجيج روح الطـائفيـة وتكـوين تنظيم مرتبـط بها ومـده بالسلاح والمال ودفعـه للاعتـداء على اطـراف الحـركـة الـوطنيـة حتى أصبـح المسؤ ولـون الايـرانيـون يعتـبر ون لبنـان من مناطق الاراضي المنخفضـة التي لهم فيهـا نفوذ ومواضع أقدام. ولكانت حصيلة ذلك عدداً من القضايا امام الجامعة العربية وعدد من الدورات الخاصة لمجلس وزراء الخارجية ومؤتمر القمة. بالنسبة للعراق لو لم يقم للدفـاع عن نفسـه لكان عليه ان يقبل بقيام حرب حدود تدمـر نتيجتهـا كافة المناطق السكانية والمنشأت الموجودة في تلك المنطقـة وكـان عليـه ان يقبـل بالتـالي احتـمال دخـول القـوات الايـرانيـة لداخـل حدوده بأي ذريعـة كانت وان يتحمل عملا تخريبيا واسـع النطـاق من الجـاليـة الايـرانيـة في العـراق ومن المتسللين عبر الحدود.

كل ذلـك كان سيحصـل لامحالة لسبب واضح بسيط هو ان النظـام يتبنى بالكـامل سياسة الشاه ازاء البلاد العربية المجاورة لايـران المطلة على الخليج العـربي اذ لم يصدر منه حرف واحد ينتقـد تلك السيـاسـة وهـو فوق ذلك مليء بالغرور وشهوة القوة وحب التـوسـع وتـداعب خيـالـه احـلام التـوسـع مهـما كانت الشعارات التي يرفعها بما يتعلق بالاسلام ونشره في العالم. هذا هو المعنى الحقيقي للقول بان العراق يقاتل عن كل العرب فهو يتحمل وضعا سيئا تلافيا لوضع اسوء منه بكثير.

انني اعتقـد ان حدوث الـوضـع الاسـوء لم تكن لتقتصر على البلاد العربية المجاورة بل تتعداه للبلاد العربية الاخرى ولبنان مثل مادي على ذلك. ثم ان هذا النظام كان سيمد ذراعه حتى خارج البـلاد العـربيـة للبـلاد الاسـلاميـة ولأي بلد فيـه أقلية اسـلاميـة. لولم يقـاتل العراق لكبح جماح هذا النظام المتعطش للسيطـرة والنفـوذ لحصـل للبـلاد الاسـلاميـة ما يحصـل للبلاد العـربيـة المجاورة ولوبدرجات متباينة من حالة لاخرى وحسب الظروف.... البلدان الاخرى غير العربية كانت ستعاني من هذا الهجـوم على استقـلال الشعـوب وامنهـا واختياراتها. انني اقول ذلك ولا اعتمد على الاستنتاج المنطقي فحسب بل على الـدلائـل الواقعية أيضا فالنظام الايراني في بدايته الاولى حاول التـدخـل في شؤ ون بلدان غير عربيـة كأنـدنـوسيا والباكستان وافغـانستـان وتـركيـا ومـاليـزيـا وحتى يوغسلافيا. ولذلك فان تضحيـة العـراق في هذه الحـرب لا تنحصـر بالدفاع عن البلاد العـربيـة بل هي في الحقيقـة دفـاع عن باقي البلدان الاسلامية وحمـايـة لاستقـلالها. العراق يحارب اليوم من أجل ترسيخ مبدأ لايعترف به النظام الايراني الا وهو مبدأ عدم التدخل بالشؤ ون الداخلية للدول الاخرى وان شكل نظام الحكم في كل دولة هو الاختيار الحر لشعب تلك الدولة. هذا المبدأ الاساسي في حركة عدم الانحياز لا يتحدث عنه النظام الايراني الكثير الكلام والتصريحات.

اذن علينـا الا نستسلم للتصـورات غير الـواقعيـة بل علينـا مجابهـة الـواقـع كما هو مهـما كانت مرارته الا وهي اننا امام نظام توسعي شرس يريد بسط الهيمنة على الاخرين بالقوة. اننا ان لم نقاتل هذا النظام فالنتيجة ستكون اسوء مما لو قاتلناه.

النتيجـة للبـلاد العـربيـة كانت ستكون نفس القتال ونفس التضحيـات ولكن من موضـع الضعف والخنوع وعلى حساب

الاستقلال وحرمة الارض العربية. ان القوة المادية الغاشمة المقرونة بافكار التوسع ومناطق النفوذ كانت دوما مشكلة الشعوب المدافعة عن حريتها واستقلالها. ان اصحاب افكار التوسع ومناطق النفوذ المقرونة بالقوة المادية الغاشمة كانوا دوما لا يتعلمون الا بالطريقة الصعبة، أي عندما تقوم المقاومة بوجوههم وترد كيدهم الى نحورهم. ان ضرب الامثله لهم من التاريخ قليل النفع مع الأسف والوعظ عن أهمية السلام وضرورة احترام ارادة الاخرين قليل التأثير لسوء الحظ. هكذا يعلمنا التاريخ كان على اصحاب افكار الطغيان ان يتعلموا في النهاية ولكن بعد حصول التدمير وليس قبله.

وما علينا نحن الذين نجابه هذه الحالة المتكررة في التاريخ الا أن نكون عقلاء والا نستسلم للاوهام فنتصرف على اساس الواقع الموجود وليس على اساس ما نرغب ان يكون عليه.

قال الامام علي كرم الله وجهه «ليس العاقل من يعرف الخير من الشر بل العاقل من يعرف خير الشرين».

مُختصرَات

يقوم في ايران اليوم نظام ذو ادعاءات كبيرة بالاسلام فما هو مدى صحتها عندما نفحص سلوكه اليومي ونقيّم ذلك بضوء جوهر الاسلام؟ يلاحظ ان هذا النظام يمارس اعلاما يقوم اساسا على الكذب على أوسع نطاق وفي كل شيء تقريبا وبدون تردد في حين أن التعلق بالحقيقة من مبادئ الاسلام الاساسية فقول الحق من صفات المسلم الحقيقي. ويلاحظ ان نزعة الكذب في الاعلام الايراني ترجع الى التمسك بطريقة طالما عرفت عن النازية وبعض مدارس الدعاية الاخرى التي تقوم على فكرة الكذب الكثير من أجل تصديق القليل.

كما ان النظام الايراني الموجود حاليا يستخدم الغرائز البدائية في الانسان ويعمل على اطلاقها لاقصى الحدود الممكنة واستغلال العواطف كوسيلة لتعبئة الناس وسوقهم نحو اهداف النظام. لذلك نجده يمارس القتل على اوسع نطاق ويمارس اساليبا بدائية في القتل والتمثيل والتعذيب لم تعرف الا في الفترات الحالكة من التاريخ. والملاحظ ان ـ النظام ممثلا باشخاصه يمارس كل ذلك جنبا الى جنب مع الصوت المرتفع بالاسلام حتى وكأن هذه الظواهر مقبولة في الاسلام. ان هذا الجمع بين المتناقضات أمر يثير الانتباه لا كقضية سياسية فحسب بل كظاهرة اجتماعية تستحق التحليل والدراسة.

ان ممارسة الكذب على النطاق الواسع وممارسة الارهاب الدموي والقتل والقسوة واطلاق الغرائز واستخدامها كوسيلة للسيطرة على الانسان امور تحتاج لتفسير والذي يدرس التاريخ القديم خاصة ما يتعلق منه بدور الفرس في الاسلام وموقفهم منه يتبين له انها ليست غريبة عن التاريخ القديم وبذلك يكون الفرس قد تعاملوا مع الاسلام من خلال خصوصيتهم ونظرتهم للامور وليس على حقيقته وكما هو.

ان المحرك الاساسي لهذا النظام هو الحكم: البقاء فيه لاطول فترة ممكنة والدفاع عنه ومن أجل ذلك فهو مستعد لأن يعمل أي شيء مهما كان متناقضا مع المبادئ ومع الاخلاق. ان هذا الا يغال بممارسة اللعبة السياسية بكل ما تنطوي عليه من تكتيك ومناورة وخداع وما تؤدي اليه من اباحة للمحرمات يضع السياسة العربية امام امتحان. وتكمن خطورته في انه يفتح المجال امام هذا التصرف ويشجع على المزيد منه على حساب المبادئ وخاصة مبدأ القومية العربية والوحدة العربية.

